ماثُورين دُونـدُو

ضَريـران وحمَـار

المهمات

قناع حمار

حبل للحمار

مقعد

لافتة فوق الحانة ـ "التنين الأخضر"

عامود ثابت أمام الحانة

الشخصيات

الممثل

الضرير الأول

الضرير الثاني

صاحب الحمار

صاحب الحانة

الحمار

المشهد عبارة عن ميدان عام لمدينة جميلة في فرنسا في العصور الوسطى. تظهر إلى اليسار حانة بلافتتها "التنين الأخضر". وإلى اليمين يلاحظ المشاهد ظل قوس البوابة الضخمة. ثمة مقعد صخري عند البوابة تحت عرش

صغير. في الخلف، نلمح شوارع متعرجة وأطرافًا ناتئة من الأجزاء العليا من المنازل.

عندما يرتفع الستار يمكن أن نلمح الضريرين يقفان في مكانهما المهني بلا حراك، صامتين متأهبين. خلال وقت قصير، يدخل الممثل، وفي الحال يمارس الضريران فنهما عليه.

الضرير الأول (يدندن برتابة): من فضلكم، صدقة لله.

الضرير الثاني (بنفس النبرة): أيها المحسنون، صدقة من فضلكم.

الضرير الأول: فلتأخذكم الشفقة على ضرير مسكين فقد بصره في معركة ضد شعوب أخرى.

(يدمدم بكلام غير مسموع)

الضرير الثاني: فلتأخذكم الشفقة على رجل مسكين وُلد ضريرًا، سيدعو لكم بالطمأنينة وراحة البال.

الممثل: يا بني قومي الطيبين، إذا طلبتما مني الشفقة، فسأهديها لكما من أعماق قلبي. إذا طلبتما مالاً، فكل ما يمكنني أن أعطيه لكما هو بركات الله. فأنا نفسي شحاذٌ مسكين.

الضرير الأول: أيها الشحاذ القذر، ابتعد من هنا.

الضرير الثاني: اغرب من هنا. لا يحق لأي شحاذ أن يقف هنا.

الممثل: أهو امتياز خاص منحه لكما ملكنا، فجعلكما تدعيان حقًا حصريًا في هذا المكان؟

الضرير الأول: أقوم بعملي في هذا الركن منذ نحو ثلاثين عامًا. لن ينازعني أحد على هذا المكان.

الضرير الثاني: منذ أن عبر الكاهن خلال هذه البوابة، في طريقه إلى أڤينيون، فلم أبرح هذا المكان. لم أمنح شحاذًا فرصة لينازعني في تجارتي.

الممثل: صديقَي، أنا لا أدعي انتهاك ضيعتكما الثمينة، كل ما قلته كان من قبيل السخرية.

الضرير الأول: لا يجدر بك أن تسخر من رجل ضرير.

الضرير الثاني: أولئك الذين يسخرون ممن فقدوا أبصارهم، سيبكون بمرارة.

الممثل: أنا ساخر مهنيًّا، ولا أستطيع أن أمنع نفسي من إطلاق دعابة صغيرة ساخرة، لكن كلماتي- لا سمح الله- لا تحمل أية سخرية لاذعة، قولا لي بصدق يا صديقَي، هل يمكنكما أن تنصحاني بحانة ملائمة في هذه البلدة؟

الضرير الأول: هناك حانة في الزاوية تليق بملك.

الضرير الثاني: النبلاء والتجار الأثرياء يستمتعون يوميًّا في حانة "التنين الأخضر".

الممثل: "التنين الأخضر" إذن جدير بخدمة ممثل في قامتي، لكن، يا صديقَي، أعترف بأن محفظتي الآن خاوية كمعدتي، وكلتاهما تحتاج إلى الامتلاء مرةً ثانية. سأعتمد على خفة دمي، وعلى دعواتكما الصالحة وعناية الله، ليكون "التنين الأخضر" عطوفًا ورحيمًا.

(يخرج الممثل)

الضرير الأول: بيير!

الضرير الثاني: ماذا؟

الضرير الأول: هل حصلت على القليل من البنسات؟

الضرير الثاني: ولا حتى نصف بنس، وأنت؟

الضرير الأول: لا شيء. كما أنني أقف في هذا المكان منذ فجر الأحد.

الضرير الثاني: إنني أتضور جوعًا. فمن المؤكد أن وقت العشاء قد حان.

الضرير الأول: بالنسبة لي، هو وقت الإفطار.فلم أتذوق طعم لقمة خبز.

الضرير الثاني: أقول إنه وقت العشاء. بدأت أشم رائحة شهية من الحانة هناك.

الضرير الأول: نعم أشم رائحة مثل شواء إوز.

الضرير الثاني: إذا اقتربنا، فسيمكننا أن نستمتع بنكهتها.

الضرير الأول: نعم، هيا نقترب. تقدم، يا بيير، فلديك أنف لا تخطئ الشم على العكس مني.

(يقتربان من الحانة)

الضرير الثاني (يشم بقوة): أم... آه!..... إنها شوربة كُرنب. هل تناسب شهيتك؟

الضرير الأول.(يشم): أم... آه... إنه الصنف الذي أحبه.

الضرير الثاني (يقلد شخصًا يلعق شوربته): آه! لقد انتعشت. فهي تسري مباشرةً نحو القلب.

الضرير الأول (بنفس الطريقة): آه، أليس ذلك بشيء رائع! لا يتذوق المرء نكهة الشوربة تلك كل يوم.

الضرير الثاني: لا، دون أدنى شك.

(يستمران في لعقهما التخيلي للحظة)

الضرير الثاني: فلنكف عن تناول الشوربة، فها قد جاءت الإوزة.

(يشمان بصوت عال)

الضرير الأول: لم أفرغ من تناول حسائي بعد.

الضرير الثاني: ها قد جاء دور الإوزة، هل تسمع؟ إذا كنت مهتمًّا، فمن الأفضل أن تسرع.

الضرير الأول (يشم بقوة، تنهدات ابتهاج عميقة)

الضرير الثاني (يشم بقوة): إوزة محشوة.

الضرير الأول: محشوة؟

الضرير الثاني: نعم، بالبندق المحمص، أليست لديك أنف؟

الضرير الأول (يشم): أنت محق. البندق المحمص.

الضرير الثاني (يمط لسانه): نيام، نيام... تذوق ذلك.

الضرير الأول (نفس الطريقة): نيام، نيام... أراهن أن الكاهن لم يتذوق مثلها.

الضرير الثاني: ها أنت ذا أيها الرجل المسن، لا تكن جشعًا، فأنت تنقض على ما يزيد عن نصيبك، هذا ليس عدلاً.

(صوت خطوات أقدام)

الضرير الأول: شخصٌ ما قادم. إيه يا بيير، زبون!

(الضريران يستعيدان وضعهما كشحاذين)

الضرير الثاني: صدقة من إحسانك، بوركت وكنت سندًا للمحتاجين.

الضرير الأول: صدقة من إحسانك، أيها المحسن.

(يدخل الحمار عبر بوابة المدينة، ويخطو نحو الضريرين)

الضرير الثاني: فلتأخذك شفقة بضرير مسكين، يدعو بحسن المآب، وأن تتمتع بصحة جيدة.

الضرير الأول: فلتشفق على ضرير مسكين، يدعو أن يبارك أولادك وأحفادك.

(يقترب الحمار من الضرير الأول، يتوقف ويلعق يده الممدودة)

الضرير الأول: شكرا لك، يا سيدتي الطيبة. فليجازك الله على إحسانك!

(يتحسس الضرير الأول الحمار ويدفعه بعصاه. يذهب الحيوان إلى الرجل الثاني ويقوم بنفس العمل)

الضرير الثاني: شكرًا لك، أيها الصبي، بوركت.

(نفس الحركات. يمشي الحمار ويخطو نحو اليمين)

الضرير الأول: بيير!

الضرير الثاني: ماذا؟

الضرير الأول: لقد تم ضبطك.

الضرير الثاني: وأنت كذلك.

الضرير الأول: لا يمكنك أن تخمن ما هو.

الضرير الثاني: ولا أنت أيضًا.

الضرير الأول: ماذا كان الزبون؟

الضرير الثاني: كانت بقرة.

الضرير الأول: أيها الغبي، لقد كان كلبًا.

الضرير الثاني: أؤكد لك أنها كانت بقرة.

الضرير الأول: أيها البقرة، أؤكد لك أنه كلب.

الضرير الثاني: أيها الكلب. أنت أكثر غباءً من فقدانك لبصرك. لا يمكنك أن تميز أنفك من فخذك.

الضرير الأول: أنت ثلاثة أضعاف غبي. قُل لي، لو كنت تستطيع أن تميز عصاي من حذائي؟

(كلتا العصاتين ترتطمان في الهواء يمينًا ويسارًا، والكلمات التالية تُسمع- وكلاهما يتحدثان بالتعاقب)

الضرير الأول والضرير الثاني: خذ هذه... خذ هذه... قذر... حقير... لص... خذ هذه... قذر... حقير... لص... مخادع... كافر... شيطان...

(يُسمع نهيق الحمار القوي. يتوقف الضريران عن الشجار)

الضرير الأول: حمار!

الضرير الثاني: حمار!

الضرير الأول: كنت أعرف تمامًا أنه حمار.

الضرير الثاني: إيجاد، أي شخص كان يمكن أن يميز أنه كان حمارًا.

الضرير الأول: كنت أمزح فحسب.

الضرير الثاني: لقد تظاهرت بأنني لا أعرف.

الضرير الأول: كل من يخدعني فهو قاسي القلب.

الضرير الثاني: وما يزال أكثر مهارة ذلك الذي يخدعني.

(تسمع خطوات. يستعيد الضريران وضعهما كشحاذين)

الضرير الأول: صدقة لله من إحسانك.

الضرير الثاني: صدقة من إحسانك، أيها المحسن.

الضرير الأول: صدقة لله.

الضرير الثاني: صدقة لله.

(صاحب الحمار يدخل من خلال بوابة المدينة، ويتجه صوب الضريرين)

صاحب الحمار: طاب يومكما، أيها الصديقان. هل تصادف أن رأيتما حمارًا يمر في هذا الطريق؟

الضرير الأول: يا سيدي الطيب. أنا ضرير مسكين. صدقة من إحسانك لله.

الضرير الثاني: فلتأخذك الشفقة برجل مسكين وُلد ضريرًا، سيدعو لك كثيرًا.

صاحب الحمار: أوه، لابد لي من أن أغير طريقتي في الكلام. هل تصادف أن سمعتما حمارًا يمر هنا، منذ فترة وجيزة؟

الضرير الأول: تمر حيوانات كثيرة من هذا المكان، يا سيدي الطيب.

الضرير الثاني: حيوانات من كل الأنواع تمر من هنا، ونحن الضريرين لا نستطيع أن نميزها جميعًا.

صاحب الحمار: إذا استطعتما أن تقولا لي في أي اتجاه ذهب الحمار، فسأعطيكما مكافأة مالية كبيرة.

الضرير الأول: بالتأكيد، يا سيدي، حمارك مر من هذا الطريق.

الضرير الثاني: لقد شعرت به أنا الأول.

الضرير الأول: لا، لم تشعر به، شعرت به أنا الأول.

الضرير الثاني: إنه يكذب، لقد سمعته أنا أولاً، فلا يمكنه أن يميز الحمار من الفيل.

صاحب الحمار: لا تتشاجرا، أيها الرجلان الطيبان. ستتقاسمان أنتما الإثنين المكافأة. قولا لي، في أي طريق ذهب الحيوان الذي أمتلكه؟

الضرير الأول: (يشير صوب اليمين): هذا الطريق، يا سيدي.

الضرير الثاني: (يشير صوب الاتجاه المعاكس): هذا الطريق، يا أميري.

صاحب الحمار: منذ متى؟

الضرير الأول: أوه، منذ نصف ساعة.

الضرير الثاني: نصف ساعة! هو لا يدرك ما يقول. خمس دقائق، يا أميري. لو قلت دقيقة أكثر أو أقل، لكنت كاذبًا. خمس دقائق، يا أميري.

(يُسمع نهيق الحمار)

صاحب الحمار: لا بأس، يا صديقَي. شكرًا. لقد وعدتكما بمكافأة. الآن، خُذا، هذه عملة الدوكانية، ذهبية خالصة (يدير لهما ظهره ولا يعطيهما شيئًا) تقاسماها!

الضرير الأول: شكرًا لك، يا سيدي، شكرًا لك. فسيجازيك الله أضعافها.

الضرير الثاني: شكرًا لك، يا أميري المتألق. باركك الله.

(يخرج صاحب الحمار)

الضرير الأول: حفتك البركات والدعوات من كل صوب...

الضرير الثاني: سأدعو لك آناء الليل والنهار...

(وقفة)

الضرير الأول: بيير!

الضرير الثاني: ماذا؟

الضرير الأول: ما رأيك لو ذهبنا إلى هناك؟

الضرير الثاني: أين؟

الضرير الأول: إلى الحانة.

الضرير الثاني: إلى "التنين الأخضر".

الضرير الأول: بالطبع.

الضرير الثاني: لنأكل الإوزة؟

الضرير الأول: أجل الإوزة المحشوة.

الضرير الثاني: لنأكل بعدل.

الضرير الأول: إنه أمر طبيعي أن نأكلها بعدل. أن تأكل حتى تشبع، أن تأكل بفمك وليس بأنفك.

الضرير الثاني: وهل سنحتسي شرابًا؟

الضرير الأول: وسنحتسي شرابًا، ومن النوع الفاخر أيضًا.

الضرير الثاني: ضع في اعتبارك ـ أيها الرجل العجوز ـ أن ذلك سيكلفنا كثيرًا، يا عزيزي.

الضرير الأول: وماذا في ذلك، فمعنا النقود.

الضرير الثاني: أجل، معنا مبلغ كبير، عملة الدوكانية الذهبية، بها يمكننا أن نحتفل. فيمكنك أن تمارس المراهنة هناك بما يكفي لتسرف في الطعام و الشراب. مرةً واحدة في العمر لا تتكرر.

الضرير الأول: سنأكل مثل الأمراء.

الضرير الثاني: ونشرب مثل الكهنة.

(يدخل الضريران الحانة ويختفيان. يدخل صاحب الحمار بالحمار. يمشي صوب الحانة، يسحب حيوانه بلجام، وينفجر في الضحك في كل خطوة)

صاحب الحمار: هيا أيها الأحمق، هيا هئ، هئ، ها، ها، هو، هو. يا لها من خدعة طريفة لعبتها على هذين الضريرين! ها، ها، هو، هو، يتخيلان أنني أعطيتهما عملة الدوكات، هيا، أيها الحمار، هيا، لم أعطهما شيئًا، ولا حتى بنس. ذهبا إلى الحانة. سأراهن على ذلك، وطلبا عشاءً شهيًا. سأدخل بنفسي وأستمتع. هئ،

هيءْ!.. سيكون من الممتع أن أراهما وهما يأخذان الفاتورة. هو، هو! سأربطك هنا، بينما سأدخل وأشاهد المتعة.

(يربط الحمار في عامود بإحكام، و يختفي في الحانة. يدخل الممثل)

الممثل: إنها مزحة لطيفة، وقد مُثلت بمهارة. من مكاني الظليل تحت البوابة، كنت شاهدًا على مشهد كوميدي صغير، وأعلن أن صاحب الحمار فنانٌ ذو موهبة عظيمة: أيتها السيدات والسادة، أنا ممثل، ممثل جوال، وسافرت إلى كل أقاليم فرنسا ونافاري. لكنني يجب أن أعترف بأن ما قُدم ليس مسرحية هزلية. لقد نال صاحب هذا الحمار إعجابي الكامل؛ والآن السيدات والسادة- بموافقتكم الكريمة- سأجعله بطلاً لمسرحيتي الهزلية. (يقترب من الحمار، ويربت عليه وهو يخاطبه) حمار وديع، حمار جميل! (يظهر الحمار إشارات عدائية) هيا، هيا، كن ولدًا مطيعًا، أخًا صغيرًا، ألا تظن أننا متشابهان قليلاً؟ (يومئ الحمار برأسه) أجل، قلت أنت ذلك. هناك تشابه عائلي بيننا، مظهر قسوة ضئيل. أنا أؤكد ذلك. ولأنني أحبك، فسأعطيك فرصة لتغير وجبتك. أنت نحيل مثلي، أجل مثلي. أتعمل بجد مفرط؟ (يومئ الحمار برأسه مؤكدًا) ولا يتاح لك الطعام بشكل كاف؟ (يهز الحمار رأسه) مثلي تمامًا. انتظر لحظة يا أخي الصغير، إذا لم أكن مخطئًا، فسوف يتغير قدَرُك.

(يظهر صاحب الحانة على درج الباب الخارجي، وينادي على الضريرين في الداخل)

صاحب الحانة: إذا لم تدفعا في الحال، فسأطلب الشرطة!

(خلال باب الحانة المفتوح يُسمع الضريران وهما يتشاجران)

الضرير الأول: إنه أنت مَن أخذ عملة الدوكات، أيها اللص.

الضرير الثاني: أنت كذّاب. لقد أعطاه لك. أنا على يقين من ذلك. ادفع أيها الوغد، هل يرضيك أن يذهب كلانا إلى السجن؟

الضرير الأول: ادفع لنفسك، يا قاطع الطريق، وإلا فسأضربك.

الضرير الثاني: سأضربك في رأسك أولاً، إذا لم تظهر عملة الدوكات تلك.

(شجار، صراخ، تدافع عام. يغلق صاحب الحانة بابها، ويركض عبر خشبة المسرح في هياج عظيم)

صاحب الحانة: الشرطة، الشرطة! لص، لص، الشرطة!

الممثل: ما الأمر؟

صاحب الحانة: اذهب واستدع الشرطة، أسرع، أسرع. هناك لصان في حانتي، ضريران. لقد طلبا عشاءً كبيرًا مع الخمر، والآن يرفضان أن يدفعا.

الممثل: اهدأ يا سيدي، ستُدفع لك فاتورة العشاء. بكم يدينان لك؟

صاحب الحانة: واحد دوكات يا سيدي. يدينان لي بدوكات. التهما الإوزة كلها، وتجرعا زجاجتين من أفضل الخمور الموجودة عندي.

الممثل: دوكات؟ باه، ذلك شيء تافه فحسب. سآخذ على عاتقي أن أرده لك.

صاحب الحانة: حقًّا؟ أنت كريم جدًّا، يا سيدي. فهما لا يستحقان ذلك. إنهما قاطعا طريق، لصان قطعًا، ويجب أن يُشنقا.

الممثـل: استمع، يا سيدي. أنت ترى هذا الحمار الوديع. كم يساوي بالنسبة لك؟

صاحب الحانة: لا آبه بحمارك. أريد نقودًا مقابل العشاء.

الممثـل: تمهل، يا صديقي، تمهل. سيُدفع ثمن عشائك. لكني أقول ها هو حيوان ذو طلعة وديعة. لن تجد له مثيلاً في مملكة فرنسا كلها.

صاحب الحانة: حقًّا، حيوان يُرثى له، سيكون من الصعب أن يجد المرء له مثيلاً في أي مكان.

الممثـل: آه، يا سيدي العزيز. أستحلفك بالله ألا تحكم على هذا الحيوان من خلال مظهره الخارجي. أقسم لك أنه أروع مخلوق. أعرف الكثير من البشر الذين لم يبلغوا ذكاءه. أتصدق ذلك، يا سيدي؟ ذلك الحمار يمكنه أن يخض الزبد.

صاحب الحانة: (وصوته يتعاظم عجبًا) أهو كذلك، حقًّا؟

الممثـل: أجل، يا سيدي، ويغني للرضيع حتى ينام؟

صاحب الحانة: أهو كذلك، حقًّا؟

الممثـل: أجل، يا سيدي. ويسحب الماء من البئر.

صاحب الحانة: أهو كذلك، حقًّا؟

الممثـل: أجل، يا سيدي. ويُبعد عنك الشحاذين.

صاحب الحانة: أهو كذلك، حقًّا؟

الممثـل: أجل، يا سيدي. ويحميك من الطاعون.

صاحب الحانة: أهو كذلك، حقًّا؟

الممثـل: أجل، يا سيدي. راقبه الآن (يهز الحمار ذيله) انظر إليه، وهو يهز ذيله؟ ذلك يعني: "انتبه، يا سيدي، فهناك شخصٌ ما يحاول أن يغشك".

صاحب الحانة: هذان الضريران المحتالان!

الممثل: ربما هكذا، يا سيدي. انظر إليه مرةً أخرى. هل ترى رأسه وهي تهتز بذكاء؟ (يهز الحمار رأسه) ذلك يعني: "احذر، هناك شاب يمعن النظر إلى زوجتك".

صاحب الحانة: ذلك الشاب المتعلم يحاول مرةً أخرى، أراهن أنني دائمًا ما أرتاب في ذلك الشاب الأشقر. سأجعله يدفع ثمن أفعاله.

الممثل: أجل، يا سيدي. لقد قاربت أفعال الحمار أعمال البشر. لن أبيعه بأي ثمن، ولا حتى بوزنه ذهبًا. فذلك سيكون إثمًا. لقد قمت بإعلان الفقر. وقد تخليت عن الممتلكات الدنيوية لأنني كنت سأسلك طريق الزهد. فماذا أنا فاعل بحماري المحبوب؟ لن أتخلى عنه لأول غريب، لخشيتي من أن تُساء معاملة الحيوان الثمين. لكني الآن أجدك أنت، يا ذا الروح الكريمة والنبيلة والرقيقة. أنت الرجل الذي يمكنه أن يفهم حماري، عامله بعطف وقيِّم خدماته. خذه يا سيدي، إنه ملكك. سأتخلى عنه لغرض خيري. سيساوي أكثر مما تدين به للضريرين مقابل عشاءهما.

صاحب الحانة: هل تبغى حقًّا أن تتخلى عن الحيوان؟

الممثل: إنه ملكك فحسب.

صاحب الحانة: سآخذه. فلتدخل الطمأنينة قلبك بأنني سأعتني به. لكن انتظر، ألا تدخل وتتناول عشاءً؟ عندي أوز مشوي اليوم، وخمري لا يستهان به. سأقدم لك أفضل ما عندي.

الممثل: أتعرف، يا سيدي الكريم، فأنا ملتزم بالصوم والتقشف، لكن كي أرضيك، فسأقبل دعوتك.

صاحب الحانة: حسنًا، يا صديقي، تفضل، تفضل! أريد منك أن تتذوق واحدةً من زجاجاتي المعتقة.

الممثل: أولاً، دعني أُدخل الحمار في حظيرتك. ذلك الحيوان مرتبط بي، فإذا خطوت خطوةً واحدةً بعيدًا عنه، فسيبدأ بالنهيق مباشرةً حتى تكاد رأسك أن تنفلق. لذلك، فمن الأفضل أن تُبعده في الحال، ومن ثم فلن يزعجنا. أين حظيرتك؟

صاحب الحانة: في المؤخرة إلى يمينك. أسرع، سأقدم لك عشاءً ساخنًا في الحال.

(يخرج الممثل بالحمار. صاحب الحانة يفتح الباب وينادي من عند الدرج على الضريرين)

اخرجا من هنا! (الضريران يخرجان متعثرين) اشكرا الله لإرساله رجلاً كريمًا ليدفع لكما مقابل عشائكما، لكن لا تضعا قدمًا من أقدامكما في مكاني مرةً أخرى. أخرجا، أسرعا.

الضرير الأول: شكرًا، يا سيدي، جزاك الله.

الضرير الثاني: شكرًا، يا سيدي، كافأك الله.

(يدخل صاحب الحانة)

الضرير الأول: بيير، قل الحقيقة، معك الدوكات، اعترف.

الضرير الثاني: قلت لك مائة مرة، لم آخذه. أعطاه لك، يا لك من لص.

الضرير الأول: الآن، الآن، ألم يحن الوقت لنتوقف عن الشجار؟

الضرير الثاني: أجل، وكفاك قلب الأمور.

الضرير الأول: كنت على وشك أن تفلق رأسي.

الضرير الثاني: وكنت أنت على وشك أن تكسر ظهري.

الضرير الأول: الآن، إذن، فليكن بيننا سلام.

الضرير الثاني: أجل، السلام.

الضرير الأول: لقد تعشينا حتى امتلأت بطوننا، فنحتاج إلى هدوء لنهضم جيدًا.

الضرير الثاني: أنت على حق، فلننعم بالهدوء. على أية حال، فأنا أبغض المناقشات بعد العشاء الشهي.

الضرير الأول: هيا نذهب إلى هناك، ونجلس على المقعد.

الضرير الثاني: أجل، هيا نذهب.

(يتسحب الضريران تحت البوابة. يدخل الممثل، يضع رأسه في اللجام، يربط نفسه في حلقة بالعمود ويقف هناك بلا حراك، يحني رأسه يواجه جدار الحانة)

صاحب الحمار (يظهر عند الباب، يضج بالضحك): هيء، هيء، ها، ها، هو، هو

الممثل (يقلد نهيق الحمار): هيء، هاو!

صاحب الحمار (يستدير في ضوضاء): حماري، أين حماري؟ هل هرب من جديد؟

الممثل (ينهق مرةً أخرى). هيء، هاو!

صاحب الحمار: هل تضحك عليّ؟ أين حيواني؟

الممثل (بنبرة صوت زائفة): يا سيدي الطيب، لا تغضب، إنها مشيئة الله! أنا حمارك.

صاحب الحمار: ماذا؟ هل أنت مجنون؟

الممثل: كن رحيمًا، وأنصت إليّ، يا سيدي الجليل، أنا حمارك، لكن بإرادة الله أصبحت إنسانا مرةً أخرى.

صاحب الحمار: ترفق بي! ماذا أسمع؟ هل عوقبت لأنني سخرت من الفقراء؟

الممثل: يا سيدي الكريم، سأروي لك قصتي الباعثة على الأسى. غفر الله لي! عندما كنت أعيش مع أمي، كنت شريرًا جدًّا ومتمردًا. لم أقم بعمل ما كانت ترغب فيه أمي العزيزة. أفنيتُ أيامي في لعب القمار والسُّكر، بينما كانت أمي المسكينة تقتل نفسها في العمل. في النهاية، نفد صبر أمي العزيزة عليَّ فطردتني من منزلها، وألقت بلعنتها علَيْ. قالت "اغرب عن وجهي، واترك منزلي. ما أنت إلا حمار. اذهب وعش بين الحمير. اذهب وعش واعمل وأنت حمار لخمس سنوات وخمسة شهور وخمسة أيام وخمس ساعات". وحلت عليَّ اللعنة، فتحولتُ فى الحال إلى حمار. لخمس سنوات وخمسة شهور وخمسة أيام وخمس ساعات، عشت وعملت مثل الحمار. لكن في هذه اللحظة انتهت صلاحية اللعنة، وتحولتُ إلى شكلي البشري مرةً أخرى. نفذت قدرتك يا إلهي!

صاحب الحمار: أهو ممكن؟ اقتنيتك منذ ستة شهور كحمار، ولم أشك في أنك كنت آدميًّا.

الممثل: ستة شهور أمضيتها في خدمتك بشكل حقيقي. وأشكرك على معاملتك الطيبة. وأطلب عفوك، لو كنت عنيدًا في بعض الأوقات.

صاحب الحمار: إنه أنا من يطلب عفوك، لأنني ضربتك كثيرًا. لكن كيف يتسنى لي أن أعرف؟ لماذا لم تخبرني بأنك كنت آدميًّا؟

المـمثـل: كان ذلك مستحيلاً. على أنك أبديتَ لي عطفًا أكثر مما أستحق، ويحدوني الأمل أن نفترق كأصدقاء.

صاحب الحمار: بالتأكيد، بالتأكيد، سنظل أصدقاء أوفياء. قُم بزيارتي في منزلي، وستجد عشاءً شهيًّا في انتظارك.

المـمثـل: أرجو أن تقبل اعتذاري. فلابد أن أرحل إلى روما لأستعيد كياني كبشر، وأظل صامتًا حتى نهاية رحلتي.

صاحب الحمار: خذ هذه النقود، فربما تكون ذات نفع لك في رحلتك الطويلة. خذها.

(يعطيه بعض النقود)

المـمثـل: أشكرك، يا سيدي الطيب. فليكافئك الله!

(فجأة يبدأ في النهيق):

هيء، هاو!

صاحب الحمار: أيتها السماء، ماذا يحدث الآن؟

المـمثـل: لا شيء. إنها عادة من عادات حياتي كحمار. سأجد صعوبة في التخلص منها، لكنها ستزول بمرور الوقت. وداعًا، يا سيدي العزيز.

صاحب الحمار: وداعًا، يا صديقي، أعانك الله!

(يخرج صاحب الحمار. الضريران ـ اللذان كانا شاهدين صامتين على هذا المشهد ـ يقتربان ويشتركان في النهيق)

الضرير الأول والثاني، والمـمثـل (بنغمة) هيء، هاو!

المـمثـل: صديقَيَّ، أطلب غفرانكما، لأنني جعلت من نفسي حمارًا. أدين لكما بلفت انتباهي إلى حانة "التنين الأخضر"، فقد كانت الإوزة شهية، والخمر لا مثيل لها. والآن، سأترككما لتجتهدا في

تجارتكما المزدهرة عند تلك البوابة، لأنني يجب أن أطوف وأطوف لأعرض مواقفي الطريفة في أراضي فرنسا الساحرة.

ستار